مراجعة لكتاب
القيم السياسية العالمية في الخطاب القرآني:
مدخل منهاجي لدراسة العلاقات الدولية[*]
تأليف: مصطفى جابر فياض العلواني[**]

عبد القادر عبد العالي[***]

دراسة العلاقات الدولية هي من الحقول المعرفية الفرعية في علم السياسية، التي شهدت نمواً واتساعاً في الدراسات، وتشعباً في التخصصات الفرعية والحوارات النظرية حيال القيمة المعرفية لنظريات الحقل وعلاقة النظرية بالواقع. وقد تزايدت أهمية دراسة القيم في العلاقات الدولية؛ وذلك لاعتبارات عدَّة، أبرزها أنَّها تمثِّل تواصلاً للنقاش أو الحوار التمهيدي الأولي بين المثالية والواقعية في نظرية العلاقات الدولية، في عدَّة صور وقضايا جديدة، تؤكِّد كلها أهمية الربط بين النظرية وبُعْدها المعياري؛ سواء العلني منها أو الخفي. وقد تزايدت أيضاً أهمية دراسة القيم بسبب تزايد النقاش حيال القضايا العالمية، وتعدُّد الدراسات التي تحاول التنظير للعلاقات الدولية من منظور معياري؛ إذ يرتبط هذا الجانب من التنظير بتصور ما ينبغي أن تكون عليه العلاقات الدولية، ومناقشة ما يتعيَّن فعله إزاء العديد من القضايا الخلافية في العلاقات الدولية: مثل قضايا العنصرية، والتهميش، والاقصاء، والسلام، والحرب، والحاجة إلى معايير وضوابط يمكن بها تقويم هذه الظواهر، واقتراح الحلول والتوجُّهات حيالها، وعدم الاقتصار على النظرة الوضعية التي تكتفي بالوصف أو التنظير للعلاقات السببية. ولا ننسى في هذا المقام تزايد أهمية الفواعل

---

[*] العلواني، مصطفى جابر فياض. **القيم السياسية العالمية في الخطاب القرآني: مدخل منهاجي لدراسة العلاقات**، عمّان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ٢٠١٥م.

[**] دكتوراه في العلوم السياسية، أستاذ النظرية السياسية في جامعة السليمانية بكردستان العراق.

[***] دكتوراه تنظيمات سياسية وإدارية، جامعة الدكتور الطاهر مولاي، سعيدة، الجزائر. البريد الإلكتروني: abdelaliabk@gmail.com

تم تسلم المراجعة بتاريخ ٢٠١٦/٥/٢م، وقُبلت للنشر بتاريخ ٢٠١٦/٨/٢م.

في العلاقات الدولية ذات البُعْد الثقافي؛ سواء كان ذلك بواسطة ظاهرة الإحيائية، أو الصحوة الدينية التي تشهدها الكثير من المجتمعات في مختلف أنحاء العالَم، ولا سيما العالَم الإسلامي، أو بواسطة الفواعل الدينية والعوامل الثقافية، مثل عامل الإثنية والهجرة في الساحة الدولية، حيث تزايدت الكتابات التي تشير إلى إغفال العامل الثقافي في الدراسات الدولية، وعدم إيلائه الاهتمام اللازم.

وفيما يخص الدراسات في الفكر الإسلامي فقد كُتبت الكثير من البحوث عن العلاقات الدولية في الإسلام. وهذا الكتاب يعنى بهذا الموضوع؛ إذ عرض لأهمية البُعْد القيمي الإسلامي في العلاقات الدولية؛ سواء من ناحية الدراسة، أو ناحية الفعل والممارسة. يقع الكتاب في ٤٨٠ صفحة، ويتألَّف من أربعة أبواب، عمل فيها المؤلِّف على بيان المنظور المعياري للنظرية السياسية الإسلامية في العلاقات الدولية بناءً على التحليل القيمي، محاولاً إبراز القيم العالمية والإنسانية التي تضمَّنها الخطاب القرآني؛ ما يسمح بتأسيس منظور وتصور معياري في العلاقات الدولية. وميزة هذا الكتاب أنَّه يقوم على مصادر ودراسات معرفية متنوعة (إسلامية، وغربية) باللغتين: العربية، والإنجليزية.

وقد أشار المؤلِّف في المقدمة إلى وجود منهجين أساسيين متحاورين، هما: المنهج الوضعي، والمنهج المعياري، وبيَّن أنَّ الأول ينادي بضرورة الفصل بين القيم والحقائق، وأنَّ الثاني يعرض لفرضيات معيارية. وهو حوار مشهور بين المثالية والواقعية.[١] وقد استهل المؤلِّف كتابه بطرح مشكلة بحثية مفادها وجود أزمة معرفية في الغرب؛ المسيحي في دينه، الليبرالي في تدينه، في ظل غياب مرجعية حقيقية للوحي.

---

[١] للتعرُّف على بعض الكتابات التي تُعنى بالحوارات النظرية في العلاقات الدولية، ولا سيما الكتابات الأساسية، انظر: الكتاب الأول الذي ألَّفه إدورار هاليت كار الموسوم بِـ"أزمة السنوات العشرين"، ثم الكتاب الحديث الذي ينسج على منواله، والذي ألَّفه نخبة من علماء العلاقات الدولية: تيم ديون، ومايكل كوكس، وكين بوث: "أزمة السنوات الثمانين":

- Edward Hallett. Carr, "The Twenty Years' Crisis, 1919-1939: An Introduction to the Study of International Relations, New York: St." (1939): 10.
- Timothy, Dunne, Michael Cox, and Ken Booth. "The Eighty Years Crisis, 1919-1999." (1998).

قدَّم المؤلِّف مجموعة من المفاهيم اللازمة لتحديد ملامح شبكة التحليل التي أنشأها في الكتاب، مثل: الفرق بين العالمية والعولمة. ومن المفاهيم الأساسية التي عرضها المؤلِّف، والتي وسمها بمضامين الإنسانية: القيم، القيم السياسية والعالمية، مبيِّناً أنَّ الهدف من الدراسة هو كشف هذه المضامين في الخطاب القرآني، وذلك بدراسة القيم على ثلاث مراحل، هي: مدخل القيم، محتوى القيم، ومجال تفعيل القيم. ونوَّه المؤلِّف بأنَّ معرفة القيم العالمية الناظمة للعلاقات الدولية تكون عن طريق مضامينها الحضارية والعالمية.

وصف المؤلِّف المنظور القرآني للعلاقات الدولية، وبيَّن أنَّ مدار العلاقات الدولية للأُمَّة الإسلامية يركِّز على: "تبليغ الناس منهج التوحيد، ودعوتهم للانتماء إلى الأُمَّة." ثم ذكر المحاور التي اعتمدها في بحثه، والتي قسّمها إلى ثلاثة أقسام: قسم يُعنى بعالمية الإسلام، وقسم يختص بمسألة القيم، وقسم يبحث في العلاقات الدولية. ثم قسَّم الدراسة إلى أربعة أقسام.

أشار المؤلِّف في مطلع كتابه إلى أنَّ المرجعية الفكرية للعلاقات الدولية في الإسلام تتمثَّل في المرجع النصي للقرآن الكريم، والسُّنة النبوية، ومدخل السيرة النبوية، والمدخل الفقهي، والمدخل التاريخي الذي يشمل مجالات الخبرة الإسلامية. بعد ذلك عرض المؤلِّف لمفهوم "القيمة"، واستعرض التعريفات اللغوية والحقل الدلالي واللغوي لهذا المفهوم، استناداً إلى مفهوم الشِّرعة والمنهاج بالمعنى القرآني، ومحاولة تقريبه من المعنى والمفهوم المعاصر لمفهوم المنهج. وعرض أيضاً لمفهوم "القيم" في الدراسات الغربية التي ترى فيه ضرباً من الأخلاق تارةً فتتناوله بطريقة معيارية، وتَعُدُّه ظاهرةً اجتماعيةً تارةً أُخرى فتنظر إليه بصورة وضعية، وتصنِّفه ضمن إطار الفلسفة تارةً ثالثةً معتبرةً إياه حقلاً مستقلاً.

وفي الباب الأول الذي يحمل عنوان "مدخل القيم العالمية في الخطاب القرآني"، يرى المؤلِّف أنَّ دراسة القيم العالمية تقوم أساساً على تعرُّف حقائق الكون الأساسية، وهي: الخلق والخالق، والتوحيد القرآني، والخلق الإنساني المميز. وينتقل المؤلِّف بعد ذلك إلى استعراض حقيقة الهبوط الآدمي إلى الأرض، وحقائق الامتداد الإنساني الذي يشمل

الانتشار، والبث، وسُنَّة الاختلاف بين البشر، والذرء؛[٢] إذ يرى أنَّ: "البث والانتشار في ذاته مهمة حضارية ومجال ابتلائي عني به منهج الاستقامة."[٣] ثم عرَّج المؤلِّف على مستويات الإرشاد القيمي الذي يتمثَّل في المرشد القيمي التحذيري، وهو الجنة والخروج منها، والجنة للتكريم والخروج منها قصد التكليف والابتلاء، ثم الرسالات والحضارات وما تحويه من بُعْد تاريخي وإنساني وآثارها التقويمية. فللرسالات مهام تقويمية وتصحيحية، وهي ليست فقط محاولة تغيير "لتوصف بالثورية."[٤] أمَّا الأسباب الموجبة للرسالات فكثيرة، ولعل أهمها غياب الصواب، والاختلاف بين الناس حوله، وبيان حقيقة الاستقامة؛ قيماً ومنهجاً. ويبيِّن المؤلِّف أنَّ الهدف الرئيس من الرسالات هو نشر التوحيد؛ فكل الرسالات السماوية دعت إلى التوحيد، فضلاً عن مقاصد أُخرى، مثل: الإنذار، والتحذير من عذاب الله، والإبلاغ، والنصح، والاستقامة، والإرشاد، والإصلاح، والبراءة من الشرك، والهداية، والتحذير، والخوف على الناس، والدعوة، والبشارة، وإقامة الحجة.

وتعرّض المؤلِّف لمنطلقات القيم العالمية في الخطاب القرآني، فجعلها نوعين؛ الأول: المنطلقات الوظيفية ذات الصلة بضبط الفعل الإنساني، وهي صنفان: منطلق الابتلاء الذي يحدِّد الغاية والمصير، وتحدِّده المسؤولية المتمثِّلة في الخلافة، وهذا الابتلاء يشمل بني آدم جميعاً. ومنطلق القراءة أو الأمر بالقراءة، ويقصد بها تحصيل المعرفة التي تهدف إلى تمكين الإنسان من الخلافة بمجالاتها المتمثِّلة في التوحيد والتسخير والعلاقات؛ فالقراءة هي وسيلة للكشف عن التوحيد. أمَّا النوع الثاني من المنطلقات فيعرف باسم قيم المجال الحضاري التي تدور –حسب ما صاغها المؤلِّف– في فلك الوحدة، وهي تشمل وحدة الإله، بما في ذلك الربوبية والألوهية، ونفي الرسالات، وعدم الاستعلاء. ولا شكَّ في أنَّ

---

[٢] كُتِبَ في العنوان: "الذّر" بالرغم من وجود فارق بين الذر والذرء. انظر:
– العلواني، **القيم السياسية العالمية في الخطاب القرآني: مدخل منهاجي لدراسة العلاقات الدولية**، مرجع سابق، ص١١٣.

[٣] المرجع السابق، ص١١٥.

[٤] المرجع السابق، ص١٢٢.

هذا المنطلق الخاص بوحدة الإله يسهم في ذيوع الرحمة بين الناس، ويرسخ المساواة بينهم، بوصف ذلك من مقاصد التوحيد الذي ينفي صفة العلو عن غير الله، فيتحقق البُعْد العالمي للتوحيد. ويشمل منطلق قيم المجال الحضاري أيضاً وحدة الأرض بوصفها مجال الابتلاء، والمتاع، وكذا وحدة الأصل الإنساني المتمثِّلة في تأثير الخلق الإنساني في مضامين عدَّة، مثل: الخلافة، والانتشار، والمصير الواحد للناس كافةً.

وتطرق المؤلِّف في الباب الثاني لأبعاد العالمية في الخطاب القرآني، فبيَّن أنَّ القرآن الكريم هو منهج الاستقامة، ثم حدَّد قيم الاستقامة بناءً على خصائص القرآن ومقاصده،[٥] ومضامينه التعليمية الإرشادية (تعليم الإنسان الأشياء والسنن)، ومضامينه التقويمية التحذيرية (تنبيه الإنسان لواقعه إزاء منهج الاستقامة). بعد ذلك تحدَّث المؤلِّف عن وحدة الاستقامة، فأشار إلى تعدُّد مناهجها بحسب تعدُّد معطيات الواقع، ثم تناول مستويات الخطاب وخصائص منهجه، وكيف تبرز صفة العالمية في الخطاب، واستعرض لذلك ما سمَّاه محاور هذا الخطاب التي تشمل: محور الحق، ومحور الاستقامة، ومحور العالمية. وبحسب المؤلِّف، فإنَّ ما يجعل الخطاب القرآني أهلاً للعالمية ولهذه الخصائص هو التوحيد، يقول في ذلك: "وبهذا يكون منهج التوحيد الإلهي هو المنهج الوحيد القادر على تحقيق العالمية في الناس."[٦] وقد صنَّف المؤلِّف العالمية إلى نوعين: عالمية الناس الأُولى، وعالمية التصحيح والتقويم، مؤكِّداً أنَّ من خصائص منهج الخطاب القرآني الرحمة والإنسانية.

أمَّا الفصل الثالث من هذا الباب فتناول فيه المؤلِّف الوظيفة العالمية للخطاب القرآني، مبيِّناً أنَّ القرآن الكريم يتميَّز بوظيفة التنمية العالمية المشار إليها في لفظ "العالمين" الوارد في التنزيل، فضلاً عن تميُّز الخطاب القرآني بالدور الأقوم، وهو الهدي العالمي الذي يحقِّق الاستقامة؛ بغية "التخلية من الجاهلية والتحلية بالتشريع، وتحقق التربية العالمية."[٧]

[٥] نُقِل في الهامش عن سيد قطب أنَّها سبعة خصائص، هي: الربانية، الثبات، الشمول، التوازن، الإيجابية، الواقعية، التوحيد.

[٦] العلواني، **القيم السياسية العالمية في الخطاب القرآني: مدخل منهاجي لدراسة العلاقات الدولية**، مرجع سابق، ص١٨٥.

[٧] المرجع السابق، ص٢١٨.

ويرى المؤلِّف أنَّ للوظيفة العالمية للخطاب القرآني آثاراً تتمثَّل في عالمية الهدي القرآني الذي اكتسب هذه الصفة نتيجة الهدي الكوني للتوحيد المطلق، واستجابة البشرية لهذا الهدي المطلق. وقد أشار المؤلِّف إلى وجود عالميتين في هذا الصدد، هما: عالمية التوحيد الفطري، وعالمية الهدي القرآني،[٨] وخلص إلى أنَّ الأثر الثاني للوظيفة العالمية للخطاب القرآني هو عالمية الخطاب القرآني الذي يدور حول سمة التوحيد،[٩] وهو ما يميِّزها من دعوات أُخرى تدَّعي العالمية؛ فهذه العالمية القرآنية هي العالمية الحق، وعالمية الهدى الذي يصل البشرية عن طريق التذكير[١٠] من دون إكراه.[١١]

وأمَّا الباب الثالث الموسوم بـِ"آثار القيم المنهاجية في مجال العلاقات الدولية" فقد استهلَّه المؤلِّف بفصلٍ عن دور الأُمَّة المؤمنة في بناء العلاقات العالمية، مؤكِّداً أنَّ الأُمَّة المؤمنة هي الركن الأساس والعامل الحاسم في بناء العالمية، وأنَّها تقوم على روابط عقدية. ولاستكشاف واجبات هذه الأُمَّة ومهامها، راح المؤلِّف يبحث في معاني الأُمَّة في القرآن الكريم، وهي معانٍ تقوم على أساس الاختيار، وهي أُمَّة اتِّباع الحق في مقابل أُمَّة الاختلاف عن الحق.[١٢] بعد ذلك عرض المؤلِّف لأركان الأُمَّة، فجعلها تتمثَّل في العامل التنزيلي ورابطة العقيدة، والولاء والبراء، وإعداد القوة وَفق الاستطاعة.

وفي مبحث مهام الأُمَّة الإسلامية، بيَّن المؤلِّف أنَّ هذه المهام تتمثَّل في التوسط والوسطية، والفاعل التوحيدي؛ أي الدعوة إلى التوحيد، والإصلاح بوصفها أُمَّة الصلاح والإصلاح، والإحسان العالمي. أمَّا مقوِّمات الدور العالمي للأُمَّة فحصرها في مثلث الاستقامة: التمسُّك، والتمثُّل، والتجدُّد، ثم ربط الوسطية بالتجدُّد، واصفاً إياها بأنَّها

---

[٨] المرجع السابق، ص٢٢٠.

[٩] بخلاف العالمية أو الكوسموبوليتانية العلمانية التي تدعو إليها تيارات من الفكر الغربي، والتي تدور حول الإنسان بدل الإله.

[١٠] أي التذكير الإسلامي مقابل التبشير المسيحي. والتذكير معناه شيء عرفته البشرية ونسيته، أو انحرفت عنه، وهو التوحيد، والتبشير شيء جديد تتم محاولة الإخبار به.

[١١] العلواني، **القيم السياسية العالمية في الخطاب القرآني: مدخل منهاجي لدراسة العلاقات الدولية**، مرجع سابق، ص٢٢٥.

[١٢] المرجع السابق، ص٢٣٣.

توسُّط رفعة، ووسطية بين الناس، لا بين الدول والأمم. وقد استنتج من ذلك ضرورة وجود قراءة ثانية متجدِّدة للنص القرآني، سمَّاها القراءة غير المعصومة في مقابل القراءة المعصومة للرسول، ورأى أنَّ القراءة المتجدِّدة مؤكِّدة للقراءة الأُولى، وتدعمها.

ثم تناول في الفصل الثاني مسألةَ العلاقات الدولية في الإسلام ومبدئها الأساس، مبتدئاً بالعلاقات الإنسانية التي تدور -بحسبه- حول مستويات تأهيلية، ومستوى المنطلقات الوظيفية الكاشفة عن مقاصد الله في خلق كل إنسان. ثم تطرَّق إلى أشخاص العلاقات الدولية، فرأى أنَّ الخطاب القرآني قد وصف العلاقات الإنسانية في مستويين: أولهما "خطاب الناس في إطار الجنس والانتشار"[١٣] الذي يأتي بصيغة بني آدم، ومستوى خطاب الناس في إطار الوصف والإيمان. وجعل المؤلِّف أشخاص العلاقات الإنسانية نوعين، هما: الإنسان العاقل، والإنسان العاقل المؤمن المستقيم، ثم تحدَّث عن مقاصد الأُمَّة في نسج العلاقات، فرأى أنَّها تتمثَّل في تحقيق الكرامة الإنسانية بالدعوة إلى الاشتراك بالمتاع الأرضي، والدعوة إلى منهج الاستقامة الحق بالدعوة إلى منهج قراءة الإيمان.[١٤] أمَّا بالنسبة إلى موضوع القتال فقد رأى المؤلِّف أنَّ له ضوابط وضرورات تتطلَّبها مقاصد الإسلام؛ فالأصل بين المسلمين وغيرهم هو السلم لا الحرب، وإنَّ القتال ليس مردُّه الاختلاف في العقيدة أو الكفر، وإنَّ قيمته تكمن في مقاصده المتمثِّلة في الدفاع عن الأُمَّة، والحفاظ على وجودها، والقصاص من المعتدين. بعد ذلك أورد المؤلِّف أمثلةً وأدلةً من القرآن الكريم على النهي عن الاعتداء، وترْك مَن لا يستحق القتال، وقصره على مَن يستحقه، مثل المعتدين من المشركين وغيرهم.

وحمل الباب الرابع عنوان "منظومة القيم العالمية وموقع مثالها العالمي"، وقد قرنه المؤلِّف بالفصل الأول محاولاً شرح أبعاد القيم الثلاث، حسب ما جاء في كتاب طه جابر العلواني، وهي: التوحيد، والتزكية، والعمران. وبيَّن أنَّه توجد نواظم قيم تتمثَّل في الخلافة، وناظم الهدى، وجعل للخلافة في الأرض مجالين اثنين: مجال الهبوط، ومجال منظومة القيم؛

[١٣] المرجع السابق، ص٢٧٤.
[١٤] المرجع السابق، ص٢٨٤.

فالمجال الأول يتضمن وصف الجمع الإنساني الشامل لكل بني آدم، ومهبط الإنسان، وهو المجال الأرضي الصالح للمستقر، والرابط الابتلائي الذي هو مقصد الهبوط. وأمَّا المجال الثاني فهو منظومة القيم التي حصرها في ثلاث قيم؛ أُولاها: الجماعية، ورعاية الاختلاف برعاية الحق الفردي، ورعاية العقل.[١٥] والقيمة الثانية: الاستقرار، وهو حق من حقوق الإنسان، وذو صلة بالاستمتاع، وهي قيمة مكانية ظرفية.[١٦] والقيمة الثالثة: الاستقامة، وهي ترتقي -بحسب المؤلِّف- إلى مستوى "التكليف الشامل"، وتتصل بالجماعة الإنسانية كلها، وهي ذات مصدر إلهي، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿مِّنِّي هُدًى﴾ (البقرة: ٣٨) وهذه القيمة تمثِّل الهدي الناظم لهذه القيم، ومتابعة الاستقامة هي أيضاً مسؤولية فردية.[١٧] أمَّا الناظم الثاني (ناظم الهدى) فمنهجه وقيمه في الخطاب القرآني، ومصدره الله؛ فالبشر لا قدرة لهم على الاهتداء بمعزل عن المصدر الإلهي،[١٨] ولكنَّهم يملكون استعداداً فطرياً للاهتداء.[١٩] بعد ذلك شرع المؤلِّف في تفصيل مضامين قيم الهدى، فصنَّفها في ثلاث قيم فرعية، هي: قيم البيان، وقيم الأمر، وقيم النهي.[٢٠]

وخصَّص المؤلِّف الفصل الثاني من الباب الرابع لموضوع "العلاقات الدولية"، وهو صُلْب موضوع هذا الكتاب، فتناول بدايةً مسألة تطور دراسة العلاقات الدولية بوصفها حقلاً دراسياً، وتاريخ العلاقات الدولية في العصر الحديث من زاوية الأحداث الدولية

---

[١٥] المرجع السابق، ص٣٠٣.

[١٦] المرجع السابق، ص٣٠٦.

[١٧] المرجع السابق، ص٣٠٦.

[١٨] المرجع السابق، ص٣٠٩.

[١٩] من اللازم التنويه بأنَّ هذه المسألة قد تناولها علم الكلام الإسلامي القديم عند تعرُّضه لحجة العقل، والواجب الأول على المكلف، ومسؤولية مَن لم تصله الرسالة؛ فالمعتزلة وبعض الأشاعرة مالوا إلى أنَّ التوحيد ومعرفة الله يوجبهما النظر العقلي، ولهذا يمكن للإنسان أن يهتدي إلى التوحيد بالنظر العقلي، وإلى الكثير مما توجبه الشريعة الإسلامية وَفق منظورهم للقبح والحسن العقليين. في حين ميَّز متكلمون آخرون بين الواجب بالعقل والواجب بالسمع. انظر -مثلاً- بسط هذه النقاشات في كتاب الأشعري "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين"، وكتاب "الملل والنحلل" لابن حزم.

[٢٠] أسهب المؤلِّف في توضيح مضامين قيم البيان، وهي تمثِّل منهجاً لا يتم تلقيه إلا عن طريق الرُّسل. أمَّا قيم الأمر فتتضمن الأمر بالعدل والإحسان والتكامل، وأمَّا قيم النهي فتتضمن النهي عن الفحشاء والمنكر، وهي قيم ضد البغي.

والسياسة الدولية، ورأى أنَّها مرَّت بمراحل عدَّة، فقد برزت المثالية عقب الحرب العالمية الأُولى، وأعقبتها المدرسة الواقعية، وقد اختصرهما المؤلِّف في توجُّهين اثنين: الأول أخلاقي إنساني –بحسب رأيه– ينادي بالسلام والتوازن، والثاني مادي مصلحي يركِّز على مسألة الأمن القومي، مبيِّناً أنَّه لا توجد نظرية عامَّة للعلاقات الدولية.[٢١] ثم تطرَّق إلى ما يسميه المداخل الكلية لمنظورات العلاقات الدولية، وحصرها في أربعة مداخل، هي: المدخل الجامع الأول الذي يهتم بالدولة القومية، والمدخل الجامع الثاني الذي يهتم بقضايا الصراع والقوة، والمدخل الجامع الثالث، وهو المدخل السلوكي الذي يعتقد أنَّ الساحة الدولية في زمنه شهدت تعدُّداً في الفواعل، وأمَّا المدخل الرابع فأطلق عليه اسم مرحلة العولمة؛[٢٢] إذ يعتقد الكاتب أنَّ العولمة مرتبطة بالفكر الغربي، ونابعة من النموذج المعرفي الغربي. بعد ذلك تناول المؤلِّف مقدمات البُعْد القيمي وملامحه، وبيَّن أنَّها تتمثَّل في وجود بُعْد الصراع في النموذج الغربي والسعي لعولمته بتصدير الليبرالية في مضمون الديمقراطية، ثم أشار إلى عودة العناية بالبُعْد الديني بالإشارة إلى مكانة الدين في الصراعات، ورد الفعل إزاء تجاهل البُعْد الديني، ورأى أنَّه توجد ثلاثة مداخل تفسِّر العلاقات الدولية من منطلق ديني، هي: المدخل الصهيوني، والمدخل الأصولي الإنجيلي،[٢٣] والمدخل الأصولي الإسلامي.[٢٤] بعد ذلك تناول مسألة العناية بالبُعْد القيمي بعودة الاهتمام بالقيم فيما

---

[٢١] العلواني، **القيم السياسية العالمية في الخطاب القرآني: مدخل منهاجي لدراسة العلاقات الدولية**، مرجع سابق، ص٣٤٤.

[٢٢] المرجع السابق، ص٣٥٦.

[٢٣] يرى دارسو الفكر السياسي الديني لظاهرة الصهيونية أنَّ الصهيونية الدينية هي امتداد للصهيونية غير اليهودية عند المذاهب البروتستانتية، ولا سيما الإنجيلية، بتبنِّيها القراءة الحرفية للعهد القديم. انظر:

– الشريف، ريجينا. **الصهيونية غير اليهودية**، ترجمة: أحمد عبد الله عبد العزيز، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٥م.

[٢٤] ظهرت في إطار المنظور الديني للعلاقات الدولية كتاباتٌ تتحدَّث عن تعدُّد هذه التصورات حسب الثقافات والأديان، فأصبحنا نتكلم عن منظور صيني للعلاقات الدولية، ومنظور ياباني، وآخر هندي للعلاقات الدولية. لمزيد من التفصيل عن هذه النقاشات، انظر:

- Navnita Chadha. Behera, "Re-imagining IR in India." International Relations of the Asia-Pacific 7, no. 3 (2007): 341-368.

- Acharya, A. and Buzan, B. eds., 2009. Non-Western international relations theory: perspectives on and beyond Asia. Routledge.

بعد مرحلة السلوكية بدخول موضوعات ذات صلة بالقيم، مثل: حماية البيئة، وحقوق الإنسان، والحفاظ على الحياة.

وقد استعرض المؤلِّف المحاولات التنظيرية الإسلامية التي تنطلق من فرضيات النموذج المعرفي الإسلامي القائم على الخطاب القرآني، ووجود مصادر معرفية غير المصدر الوضعي، وتحديد هذه المصادر المعرفية ومراعاة الثوابت الإسلامية، واعتبار الوحي مصدراً معرفياً. وبيَّن المؤلِّف وجود محاولات تنظيرية إسلامية حصرها في ثلاث محاولات؛ الأُولى تنطلق من وجود علاقات دولية في بُعْدها العقائدي، ومن ذلك: نظرية الفقهاء المسلمين حيال انقسام العالَم إلى دار إسلام ودار كفر، وتأثير ذلك في تصور العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين، ومراعاة الأمن في اعتبار الديار وتقسيمها.[٢٥] وقد تقوم هذه المحاولات على تحديد الشخصية الإسلامية الفاعلة، وتقسيم الأفراد حسب انتمائهم إلى العقيدة؛ فالمسلمون قد يكونون من رعايا الدولة الإسلامية أو من غيرها، والكافرون قد يكونون محاربين أو غير محاربين. أمَّا المحاولات الثانية في التنظير للعلاقات الدولية من منظور إسلامي فتقوم على تصور للعلاقات الدولية في بُعْدها الأخلاقي في ظل السلم والحرب، وإبراز قانون دولي ذي طابع إسلامي هدفه تعزيز الروابط وتعميق التآخي بين الناس وردع المتجاوزين. وأمَّا المحاولات الثالثة فتستند على مبادئ شاملة بتقعيد قواعد ذات بُعْد إسلامي، مثل: رؤية سيد قطب للسلام العالمي، ودراسة الشيخ علي القرداغي، ودراسة عبد الحميد أبو سليمان.[٢٦] بعد ذلك تناول المؤلِّف المداخل القيمية لمنظور المثال القرآني، فبيَّن أنَّ القيم تحدِّد المهم والأهم في موضوع العلاقات الدولية.

- Tomoya. Kamino, "The Twenty Years' Crisis, 1919–1939: An Introduction of the Study of International Relations in Japan." Is There a Japanese IR (2008): 29-45.

[٢٥] العلواني، **القيم السياسية العالمية في الخطاب القرآني: مدخل منهاجي لدراسة العلاقات الدولية**، مرجع سابق، ص٣٨٢.

[٢٦] انظر:

– قطب، سيد. **السلام العالمي والإسلام**، القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٣م.

– القرداغي، علي محي الدين. **الأسس والمبادئ الإسلامية للعلاقات الدولية**، إسطنبول: المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، ٢٠٠٦م.

وقد استعرض المؤلِّف في هذا الجزء الأخير من الدراسة ثلاث قضايا رأى أنَّها مهمة في دراسة العلاقات الدولية، هي: مسألة حقوق الإنسان، والخصوصية الثقافية، وقضية العالمية. فبيَّن أنَّ حقوق الإنسان المعاصرة تفتقر إلى المرجعية الثابتة والمحفوظة، وأنَّ حقوق الإنسان –بحسبه– تنقسم من وجهة نظر إسلامية إلى ثلاثة أصناف، هي: حقوق وجود، وحقوق تأهيل وتميُّز مثل الكرامة الإنسانية، وحقوق وظيفة. ولهذه الحقوق من المنظور الإسلامي آثار، بوصفها فعلاً حضارياً، تتمثَّل في تحريم استعمال أسلحة الدمار الشامل ألبتة؛ لأنَّها تنتهك حق الوجود، وتُعَدُّ من أسلحة الاستكبار العالمي، ولأنَّه يجب المشاركة في الموارد ومراعاة حق الأجيال القادمة فيها، والحفاظ على المحيط الأرضي، وضرورة تحوُّل الأُمَّة إلى فاعل في العلاقات الدولية، وتفعيل قيمة العدل للتمتع بكل الحقوق وَفق مقتضى الإحسان، وليس من منطلق المعاملة بالمثل.[٢٧]

ثم تعرّض المؤلِّف لقضية الخصوصية الثقافية، فبيَّن أنَّ لها أبعاداً ودلالاتٍ، وأنَّ من خصائص الثقافة الإسلامية صلتها بثقافة الهدي الإلهي؛ ما أعطاها حق القوامة على سائر الثقافات، ولا سيما أنَّها تدعو إلى الهدي القرآني. ولهذه الخصوصية الثقافية للثقافة الإسلامية، التي مرجعيتها الهدي القرآني، آثار تتصل بها، هي: العبادة، وعمران الأرض، والاجتماع الإنساني. وقد راعى القرآن الكريم البُعْد الثقافي بحديثه عن الأقوام السابقين في إطار التخلية والتحلية والتزكية، وهذه الأبعاد الثلاثة هي التي أثبتها الفقه الإسلامي حين أقرَّ قاعدة "إنَّ الأصل في الأشياء الإباحة."[٢٨] أمَّا بالنسبة إلى القضية الثالثة (قضية العالمية) فقد أكَّد المؤلِّف أنَّ الخطاب القرآني أهل للعالمية؛ فهي تتصل بالخلافة في الأرض وَفق منهج منطلقه التوحيدي ومقاصد المنهج القائمة على وحدة الخلق ووحدة الوظيفة.

– أبو سليمان، عبد الحميد أحمد. **النظرية الإسلامية للعلاقات الدولية: اتجاهات جديدة للفكر والمنهجية الإسلامية**، ترجمة: ناصر أحمد مرشد البريك، الرياض: مطابع الفرزدق، ١٩٩٣م.

[٢٧] العلواني، **القيم السياسية العالمية في الخطاب القرآني: مدخل منهاجي لدراسة العلاقات الدولية**، مرجع سابق، ص٤٠٨.

[٢٨] المرجع السابق، ص٤١٦.

وذكر المؤلِّف أنَّ من آثار هذه العالمية الدعوة إلى الإسلام، والدعوة إلى الإصلاح ودرء الفساد عن المحيط، والدعوة الى إصلاح ذات البين.[٢٩]

ومما يلاحظ على هذه الدراسة وعلى وجاهتها محاولة المؤلِّف إعطاء المفاهيم مضامين خصوصية يراها خاصَّةً بالقرآن العظيم، مثل: العالمية، والقيم،... بدلاً من ترجمتها إلى مفاهيم إجرائية تمهِّد لوجود منطق مشترك قائم على الإلزام بالحجة والإقناع، لا رؤية ذاتية فحسب. أمَّا قراءة المؤلِّف للفكر الغربي فقد شابها بعض التعميم حين زعم خلو المرجعية الدينية في الفكر الغربي، وغياب الوحي عنه (الذي له مفهوم خاص في إطار اليهودية والمسيحية)، وقد زعم أيضاً أنَّ جزءاً من التنظير في العلاقات الدولية كانت له مرجعيات دينية مسيحية واضحة المعالم،[٣٠] ثم اختزل مفهوم "العولمة" في نشر النموذج الليبرالي الغربي بالرغم من أنَّها عملية تكثيف وتسارع وانتشار لمجموعة معقَّدة ومتعدِّدة من التفاعلات والأطراف والمضامين، ومنها عولمة الأديان.[٣١] ومن الملاحظ أيضاً أنَّ المؤلِّف حدَّد ما أسماه مجموعة من المناهج، وهي –حقيقةً– تنتمي إلى الحقبة السلوكية التي تنتمي –حسب علماء العلاقات الدولية– إلى النظريات الجزئية، مثل: نظريات صنع القرار، واستخدام

[٢٩] المرجع السابق، ص٤٢٨.

[٣٠] انظر كتابات رينولد نيبهور، وكتابات أُخرى تتناول العلاقات الدولية والمجتمع السياسي من منطلق ديني مسيحي أو يهودي، وهذه الدراسات شائعة وقديمة:

- Reinhold Niebuhr, *Moral Man and Immoral Society: A Study in Ethics and Politics*, Westminster: John Knox Press. (٢٠٠٢).

ويوجد الكثير من الكتب التي تبسط رؤيتها الدينية للعلاقات الدولية من منظور مسيحي، مثل:

- Mika Luoma-Aho, *God and International Relations: Christian Theology and World Politics,* Bloomsbury Academic, 2012.

- Eric Patterson, *Christianity and Power Politics Today Christian Realism and Contemporary Political Dilemmas*, Palgrave Macmillan, 2008.

ويوجد أيضاً كتب عرضت للنظريات غير الغربية في العلاقات الدولية، وشارك فيها نخبة من الأكاديميين، ولا سيما باري بيوزان أحد رموز المدرسة الإنجليزية المعاصرين:

- Amitav Acharya and Barry Buzan (ed*), Non-Western International Relations Theory: Perspectives on and beyond Asia*, Palgrave, 2010

[٣١] ألَّف الباحث الفرنسي أوليفيه روا كتاباً عن عولمة الحركات والدعوات الدينية وتجاوزها لخصوصياتها المحلية، وقد تناول فيه الحركات المسيحية والإسلامية ذات الطابع التبشيري والدعوي، مثل: الإنجيلية المسيحية، والسلفية الإسلامية، ورأى أنَّ واقع العولمة أفضى إلى إعادة انتشار الحركات الدينية. انظر كتابه "الجهل المقدس".

نظرية الألعاب، وهي اقترابات نظرية جزئية استُعملت في حق العلاقات الدولية.[٣٢] ولكن، نظراً إلى استعمال الدراسة مراجع قديمة –نوعاً ما– لموضوع العلاقات الدولية؛ فإنَّ هذا الحقل شهد تحوُّلات وحوارات مهمة منذ حقبة الثمانينيات، من دون أن ننسى إسهامات المدرسة الإنجليزية في العلاقات الدولية؛ إذ حاولت تبنِّي موقف وسطي بين الواقعية والليبرالية بالجمع بين الأبعاد الواقعية والمعيارية، وتركيزها الحديث عن المجتمع الدولي والمعايير التي تؤسِّسه. ونذكر في هذا الصدد تواصُل الحوارات النظرية، وتطور مدارس أو نظريات كبرى بعد المرحلة السلوكية، وهو ما يمثِّل الحوار الثالث القائم بين النظريات الوضعية والنظريات ما بعد الوضعية، التي ينصب جزء من نقدها على مزاعم حيادية المعرفة العلمية، وادِّعاء الموضوعية، ودور التنظير وعلاقته بالسلطة والقيم، وأهمية بعض القيم، مثل الانعتاق والتحرُّر، في توجيه جهود التنظير للعلاقات الدولية، والكشف عن ظواهر التهميش والسلطة والهيمنة في واقع السياسة العالمية.[٣٣]

ومما يلاحظ على الدراسة منهجياً انشغال الكاتب بالتعريف اللغوي لمصطلحات، مثل: القيم، والسياسة، والأُمَّة. صحيح أنَّنا لا نُنكر أهمية التعريف والتحليل اللغوي لهذه المصطلحات، بيد أنَّ ذلك ليس كافياً؛ لأنَّ المدلول اللغوي يختلف من لغة إلى أُخرى، ومن ثقافة أو حضارة إلى أُخرى.[٣٤] ونحن لا نوافق الباحث في استنتاجاته اللغوية بأنَّ للسياسة مقصداً تربوياً بالرغم من أنَّها تمثِّل أحد اهتماماتها الفرعية حين ينصبّ الحديث –مثلاً– على السياسة التربوية، ولو قال إنَّ لها مقصداً إصلاحياً يخصُّ الشأن العام لكان أدق وأحسن.[٣٥] يلاحظ أيضاً أنَّ المؤلِّف قَصَرَ الخطاب على بعض المعاني أو النظريات،

---

[٣٢] من أشهر المنظِّرين لنظرية الألعاب توماس شيلينج. انظر كتابه:
– شيلينج، توماس. **استراتيجية الصراع**، ترجمة: نزهت طيب، وأكرم حمدان، بيروت: دار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠٠٩م.

[٣٣] لم تُنقل الكثير من النقاشات النظرية، وأهمية المنظور القيمي في دراسة العلاقات الدولية والعلوم الاجتماعية بصفة عامة، ويمكن الإشارة هنا إلى الكتاب الجماعي لسكوت بورشيل الذي يتناول نظريات العلاقات الدولية.

[٣٤] يتفاوت –مثلاً– مدلول السياسة في المدلول العربي المشتق من الفعل "ساس" عنه في المصطلح الغربي الذي له جذور يونانية تعني "المدينة" و"إدارة شؤون المدينة".

[٣٥] ورد في تعريف السياسة عند ابن عقيل الحنبلي ما نصُّه: "مَا كَانَ فِعْلاً يَكُونُ مَعَهُ النَّاسُ أَقْرَبَ إِلَى الصَّلَاحِ، وَأَبْعَدَ عَنِ الْفَسَادِ". انظر:

مثل نظرية الخطاب كفعل.[٣٦] وقد لمسنا في هذه الدراسة كثرة التشعُّب، والوقوع في تفصيلات جانبية لا تخدم الموضوع الرئيس المتعلق بالقيم السياسية والعلاقات الدولية، فتحوَّل الموضوع إلى وعظ وإرشاد ودعوة ورؤية ذاتية أو دينية اجتهادية، بدلاً من بسط البرهان والتفسير والتحليل.

وتبقى هذه الدراسة مهمة وإضافة جيدة في مجال الكشف عن الأبعاد القيمية في السياسة العالمية؛ فنحن ما نزال في أمسِّ الحاجة إلى هذا النوع من الدراسات، ولا سيما المقارنة منها، وإغناء المكتبة الإسلامية بهذه المعارف، والإسهام في حقل الدراسات الاجتماعية والعلاقات الدولية.

– الجوزية، ابن القيم. **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية**، تحقيق: نايف بن أحمد الحمد، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي، جدة: دار عالم الفوائد، ١٤٢٨هـ.

[٣٦] العلواني، **القيم السياسية العالمية في الخطاب القرآني: مدخل منهاجي لدراسة العلاقات الدولية**، مرجع سابق، ص٦٧. يُذكَر أنَّ نظريات تحليل الخطاب تصنَّف –على الأقل– ضمن ثلاثة اتجاهات: نظرية الخطاب بوصفه فعلاً، والنظرية البنائية الجديدة، والنظرية النقدية للخطاب، إضافةً إلى تنوع توظيفات الخطاب. انظر:
– شارودو، باتريك، ومنغنو، دومينيك. **معجم تحليل الخطاب**، ترجمة: عبد القادر المهيري، وحمادي صمود، تونس: دار سيناترا، ٢٠٠٨م، مادة "خطاب"، ص١٨٠ وما بعدها.